للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات
تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق الخامس
الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول
الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلما
بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست
فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان
ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج
الفحل والانثى وذلك اذا وقع بينهما ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة
وانسان بل من اصل مخصوص هو الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك
كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد
المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل
بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه في المرآة فانه ان رفع المرآة
بازا وجهه لم يكن قد حاذى بشطر القفا فلا يظهر فيه القفا وان رفعها ورا القفا وبازائه كان
قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين ثم يدرك العين
صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب
مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه
هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق
لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله
تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله
تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في
الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله عليه
السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما اشارة الى بعض الاسباب
التي هي الحجاب بين القلب والملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا
رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني
ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل

مؤمن مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي
الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى
صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما
جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو
وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار
الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب منه
مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت
اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات
اذ ليس في الوجود سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب
هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة
بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات
واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها والمراد بتزكيته حصول
انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا
الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين
وهو ممزوج بنوع استدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور
اليقين وتتبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الاولى
ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه
ويطمئن اليه بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن
التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم
يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في
الاخرة واهله من اوائل مراتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق
بالاعتقاد فقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوا من ابائهم الا انهم اعتقدوا
ما اعتقدوه خطا لانه القي اليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق
الرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)